مئة عام على ميلاده

حافظ جميل والبحث عن التين والتوت والرمان والعنب

تمر هذه الايام الذكرى المئوية لميلاد الشاعر العراقي حافظ جميل : ذاكرة عراقية تعيد نشر هذا الحوار الذي اجراه الصحفي الراحل رشيد الرصاصي ونشر عام ١٩٧٧

تحدثوا عن موهبته وشعره العمودي الأصيل، تناولوا حياته بالتفصيل وكانت مفاجاة الحفل التكريمي ان يطل حافظ جميل على الحضور ليقرا نماذج من شعره الوجداني بجهد وعناء كبيرين بعد ان كاد يفقد بصره واعتلال صحته منذ سنوات..

دواوين..

حين زرته في بيته كان مشغولا باعدا د ماسيقوله في الحفل التكريمي يساعده على الكتابة اثنان من اصدقائه قال لي انه منذ عام ١٩٦٣ اجريت له ثلاث عمليات جراحية في كلتا عينيه وقبل عام من الان فقد اليسرى تماما واستعان بعدسة لليمنى كي تساعده على القراءة والكتابة ونظراً لتدهور صحته فقد برم بالحياة واصبح يشكو وهو يردد مطلع آخر قصائده..

اعني فليس الرز هينا لاصبرا
ودع عبرتي منهلاً لتعبيرا
ابى الله الا ان يدب بي الفنا
وتبلى عظامي قبل ان اسكن الثرى..

وانا انصت اليه.. كنت حائرا من اين ابدا مع حافظ جميل الذي نظم اكثر من ٢٠٠ قصيدة خلال نصف قرن نشرت فيه خمسة دواوين معظمها اصبح مفقودا الان.. بدأ في الغزل وانتهى متصوفا بسبب حبه الاول لقصيدته الوجدانية الاولى وكاد يطرد من الجامعة وهو شاب في الثامنة عشرة من العمر..عندما سمع الرصافي القصيدة تنبا له بان يكون شاعرا كبيرا في العراق مستقبلا.. ويوم قراها على شوقي رشحه خليفة له فيما قال آخرون عن شعره انه يجمع بين ديباجة المتنبي وفلسفة المعري.. ثائر باربعة شعراء في مقدمتهم ابو نؤاس الذي يخالفه في خمرياته المجونية بعكس دعوته هو للتوبة والغفران من خلال كاس الخمر.

نساء في حياته..

ولان حديث المرأة عنده يلقى هوى في نفسه ويستجيب لها باستمرار فقد كانت البداية معه عن المرأة التي عرفها على مدى خمسين عاما او يزيد..

قال حافظ جميل..

ولدت في محلة قنبر علي سنة ١٩٠٨ درست الابتدائية في مدرسة السلطاني ابان الحرب العالمية الاولى وبعد سقوط بغداد دخلت المدرسة الحيدرية وكان مديرها يومئذ المرحوم عبد المجيد زيدان وفي هذه المدرسة كنت على موعد مع الشعر والحب معا.. اتجهت الى الشعر عن طريق الحفظ والالقاء امام طلاب ليصفقوا لي..

دخلت الثانوية عام ١٩٢١ وبعد عامين اصدرت ديواني الاول الجميليات وكانت قيمته روبية واحدة ولاانسى هنا جهود استاذي المرحومين طه الراوي ومنير القاضي في تصحيح بعض ابيات ديواني الاول..

وفي سنة ١٩٢٥ التحقت بالجامعة الامريكية ببيروت (الحديث مازال للشاعر جميل) وتعرفت خلال سني دراستي على طلبة ينظمون الشعر منهم المرحوم ابراهيم طوقان ود. وجيه البارودي.د. عمر فروخ.. كنا اربعة ننظم قصائد مشتركة حتى تجمعت على شكل ديوان سميناه (الديوان المشترك) ولكنه فقد ولم يطبع مع الاسف الشديد..

قاطعته..والمرأة مادورها خلال هذه الفترة من عمرك؟.

في هذه الفترة كان عمري لايتجاوز التاسعة عشرة استهوتني الحياة الجامعية الجديدة وبدات استوحي منها القصائد الغزلية والوجدانية واشهرها (يا تين. ياتوت. يارمان. يا عنب) التي غناها المرحوم ناظم الغزالي والقصيدة قيلت في زميلتي (ليلى تين) وهي دمشقية من الشام تعلقت بها. ونظمت فيها العديد من القصائد فقد معظمها ولم يسلم من الضياع الا ما كنت قد نشرته في بعض المجلات والصحف (المهم ان ليلى تين اشتكت الى عميد الجامعة من ان الطلاب يضايقونها في قصائدي عندما كانت تمر من امامهم وكدت اطرد بسببها خصوصا وان تلك السنة التي نظمت فيها هذه القصيدة كانت بداية تعليم الجنسين في هذه الجامعة. وعندما تخرجت اتممت القصيدة وصرخت باسم صاحبتها فتوطدت علاقتي معها وزادت معرفتنا بعد تخرجنا وتخرجها هي الاخرى حين عملت كمدرسة في دار المعلمات ببغداد..

•وهل كانت ليلى تين حبك الاول؟.

- لنحدد الجواب والسؤال بدقة اكثر فاقول لك ان ليلى تين هي غزلي الحقيقي وبعدها عرفت النساء بالعشرات قسم منهن كشفت عن اسمائهن بعد موافقتهن طبعا. وفي الحفل التكريمي سابوح بذلك لاول مرة فيما احتفظت باسرار الكثيرات منهن اللواتي لم يرغبن ان ابوح او اتطرق اليهن ولو من بعيد او قريب على حد سواء.

شعر وجداني مبتكر..

•وبعد عودتك من بيروت

- كنت اجالس الرصافي والزهاوي واقرا عليهما بعض اشعاري.. وعندما سمع الرصافي قصيدتي ياتين ياتوت تنبا لي ان اكون شاعر العراق اذا بقيت مستمرا على هذا الطراز من الشعر الغزلي والوجداني المبتكر. وسمع القصيدة بالصدفة الشاعر احمد شوقي عندما كان مصطافا في بيروت سنة ١٩٢٧ فاعجب بها وتعرفت عليه من المرحوم خليل مطران ثم انصرفت الى عالم الوظيفة التي تدرجت فيها من معلم.مدير هواتف.مفتش عام اجوب العراق شمالا وجنوبا حتى احلت الى التقاعد لاريح واستريح معا.

•ولابد من ان الكثيرين قد كتبوا عنك.؟

- هذا صحيح الى حد بعيد فرغم مشاغلي الوظيفية كنت الازم استاذي المرحومين منير القاضي وطه الراوي واذهب اليهما وانشد الجديد من قصائدي فيدلاني على مواقع الضعف في بعض ابياتها وقد نشرت في جريدة دجلة للمرحوم داود السعدي وكذلك مجلة الزنبقة لعبد الاحد حبوش الذي كتب عني (هذا الفتى ليس فتى ولكنه شيخ فاضل بشكل فتى)

•وماذا عن دواوينك؟.

- انها خمسة تضم اكثر من ٢٠٠ قصيدة كانت حصيلة نصف القرن من عمري الاول (الجميليات) صدر سنة ١٩٢٣ قرضه جميل صدقي الزهاوي وعبد الرحمن البناء وناجي القشطيني الثاني (نبض الوجدان) كتب مقدمته المرحوم منير القاضي الذي قال ان فراسته لم تخيب في ان اكون شاعرا كبيرا يجمع بين ديباجة المتنبي وفلسفة المعري.وفي (اللهب المقفى) الذي كتب مقدمته الدكتور بدوي طبانة استاذ الادب العربي بجامعة القاهرة المنتدب للعمل في العراق وضع تسلسلي الشعري بعد شوقي وحافظ ابراهيم والزهاوي والرصافي وبذلك اصدرت وزارة الثقافية ديوانين لي هما (احلام الدوالي) و(اريج الخمائل) سنة ١٩٧٣..

شعر أمقته..

•واين تضع نفسك الان من الشعراء؟.

- انا لاادعي شيئا اترك تقدير مكانتي للقراء لكن الذي يؤلمني انه سيحدث فراغ شعري كبير بسبب انجراف الشباب الشعراء نحو ما يسمونه بالشعر الحر الذي امقته بل لااسميه شعرا واذا استمر الحال فسيندر ان تجد شاعرا اصلا يلتزم بالوزن والقافية وهما من ضرورات الشعر الذي عرفه المؤرخون.انه الكلام الموزون والمقفى وذو الاخيلة البديعة.

•وفي الوجدانيات هل نظمت الشيء الكثير؟.

- كان معظمه مؤلما حتى ان بعض اصدقائي اخذ يلومني على هذا النوع من الشعر المؤثر والمؤلم يتمثل ذلك في (نبض الوجدان) (تحت الدخان)(ضحايا الآلام) (رقص الدموع)..

تأثرت بهم..

•وبمن تاثرت من الشعراء؟.

- لقد تاثرت باربعة شعراء وهم أساتذتي (ابو نؤاس.ابن الرومي.المتنبي. شوقي.)

•اين وجه الخلاف بين خمريات ابي نؤاس وحافظ جميل؟.

- ان خمرياتي تختلف عن ابي نؤاس فمعظم ماقاله الاخير كان مكرسا للمجون بعكس خمرياتي التي تدعو للحشمة وذكر الله وبالتالي قريبة من التصوف

•اصدقاؤك كثيرون على ما اعتقد فماذا ربحت وماذا خسرت من هذه الصداقات؟

- انهم كثيرون فعلا كلهم احبهم وهم يرتادون بيتي باستمرار ويتفقدونني في اغلب الاوقات واصبحت بحاجة ماسة اليهم الان بعد ان تدهورت صحتي وانني بحاجة اليهم الان من اكثر وقت مضى ليساعدونني على القراءة والكتابة والمطالعة ويشرفون على طبع دواويني ولم تسلم الاخيرة من بعض الاخطاء فعذرا للقراء..

•وماذا خسرت.؟

- لم اخسر شيئا من صداقاتي والحمد لله باستثناء بعض العقوقين الذين قابلوا جميلي بالاساءة.

حافظ جميل والجواهري

القصر الجمهوري بناه الملك فيصل الثاني وافتتحه عبدالكريم قاسم ولم يتخذه مقراً له

من المعروف ان القصر الجمهوري في بغداد والذي يقع حالياً في منطقة الكرادة تتخذه الآن القوات الامريكية قاعدة لها في ادارة اعمالها بالعراق وهذا القصر قد طرأت عليه احداث تاريخية ومصيرية سنتناولها فيما بعد وقد بوشر ببنائه في ايام العهد الملكي في العراق وقد اكمل بناؤه بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وتقول الروايات من ابناء بغداد في حينها ان هذا القصر سوف يصبح البلاط الملكي بدلا من البلاط الملكي السابق الذي كان يقع في (منطقة الكسرة) في الاعظمية والذي اصبح فيما بعد بالنادي العسكري لقادة الجيش العراقي السابق.

هنالك بعض الحكايات التي كان ابناء بغداد يتحدثون عنها منها ان هذا القصر سوف يتزوج فيه الملك فيصل الثاني من الاميرة (فاضلة) وهي من بنات احدى أميرات آل عثمان حيث قام بخطبتها الملك فيصل الثاني عام ١٩٥٧ في اسطنبول والتقى الاميرة (فاضلة) وهنالك في (اسطنبول) اعلنت خطبة الملك فيصل الثاني الا ان الملك فيصل الثاني لم يتزوجها حيث قتل في ١٤ تموز ١٩٥٨ وان القصر الجمهوري لم يكمل بناؤه.

من الجدير بالذكر ان بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ اكمل بناء القصر الجمهوري وقد افتتحه حينها في احتفالات تموز الفريق الركن عبدالكريم قاسم ومما جاء في الصفحة (٢٣) من كتاب (مبادئ ثورة ١٤ تموز في خطب ابن الشعب البار الزعيم عبدالكريم قاسم) بجزئه الثاني عام ١٩٥٩ نقتبس منها مايلي عند افتتاح القصر الجمهوري والفعاليات التي شهدها هذا الاحتفال وكمايلي:

(برعاية سيادة قائد الشعب الامين اللواء الركن عبدالكريم قاسم جرت في يوم ١٦ تموز ١٩٥٩ حفلة افتتاح القصر الجمهوري في كرادة مريم وهو قصر فخم ذو غرف وساحات وقاعات كبيرة سيتخذ مقرا رسميا لرئاسة الجمهورية وقد نصبت في حديقة القصر الامامية السرادق وحضرت وفود الدول الشقيقة والصديقة التي شاركت الشعب العراقي في ذكرى مرور عام على ثورة ١٤ تموز الخالدة وما ان اقترب موكب الزعيم من باب القصر حتى دوت الهتافات بحياته وعصف الحاضرون مصفقين تصفيقا حارا متواصلا وعزف السلام الجمهوري ثم القى سيادة الدكتور طلعت الشيباني وزير التخطيط كلمة بين فيها ان القصر يحتوي على ٣٧٢ مرفقا وان كلفة المشروع بلغت ثلاثة ملايين وربع المليون دينار وقال سيادته: ان اموال الشعب قد ردت اليه لان هذا القصر قد اعد ليكون وكرا للطغيان ولكن ثورة ١٤ تموز اعادته الى الشعب وان اليد الامينة التي ستفتحه الان هي يد الزعيم الاوحد والقائد العام للقوات المسلحة فنهض سيادة الزعيم وارتجل الكلمة التالية:

- السلام عليكم ابناء الشعب العراقي.
- السلام عليكم ايها الضيوف الكرام.
- السلام عليكم ايها الجمع الكريم.
- يسرني في هذا اليوم ان افتتح القصر الجمهوري (تصفيق) وان اعمال البناء كادت ان تكمل ولا ينقصها الا الشيء القليل لتكملتها وانشائها ولا ينقصها غير الاثاث.

انني احمد الباري عز وجل على ان القدرة الالهية قد ضاعفت في ارادتنا وقوتنا فقهرنا الظلم والطغيان في ١٤ تموز (تصفيق) فلم ندع الفرصة تسنح لعناصر الرجس والخيانة والطغيان ان تمتد الى هذا القصر (تصفيق) انه ملك الشعب (تصفيق) وقد تم بناؤه وانجز في السنة المنصرمة وهو قائم يشهد بناؤه على قوة وارادة وتصميم شعب الجمهورية العراقية الخالدة (تصفيق وهتاف).

- ايها الاخوان

ان الادارة المسؤولة عن الحكم في هذه البلاد والحكم الوطني سوف تناضل وتستمر في اخلاصها وتفانيها في خدمة الشعب وانني في هذا اليوم افتتح هذا المقر هذا القصر باسم الله وباسم الشعب والوطن (تصفيق وهتاف) انني ارحب بضيوفنا الكرام واشكر لهم مجيئهم ومشاركتهم ايانا في احتفالنا وفي افتتاح بعض المشاريع ختاما ارجو الخير للجميع والسلام عليكم (هتاف وتصفيق).

فقام سيادته وقص الشريط ايذانا بافتتاح القصر ثم توجه سيادته يتبعه المدعوون داخل القصر حيث اطلع الجميع على بنائه وصالاته ومرافقه الفخمة وفي نهاية الحفل غادر سيادة الزعيم الاوحد محل الاحتفال مودعا بالهتاف والتصفيق والى هنا ينتهي هذا الحدث بعد افتتاح القصر الجمهوري عام ١٩٥٩ , اعود واقول والحديث لكاتب المقال ومما تجدر الاشارة اليه ان الفريق الركن عبدالكريم قاسم لم يتخذ القصر الجمهوري ادارة لاعماله وانما اتخذ وزارة الدفاع لادارة اعمال الحكومة العراقية واجتماعات مجلس الوزراء وان القصر الجمهوري اتخذ لادارة اعمال مجلس السيادة برئاسة الفريق الركن نجيب الربيعي.

الملك فيصل الثاني

عبد الكريم قاسم

صبيحة ابراهيم.. تألقت وانزوت وطمحت تقليد ام كلثوم

صبيحة ابراهيم مطربة عرفها عشاق الغناء العراقي في الخمسينيات .. قدمت العديد من الاغاني ثم اعتزلت وعادت في السنوات الاخيرة لتغني لكن القدر لم يمهلها طويلا ففارقت الحياة قبل اشهر .. هذا الحوار سيسلط الضوء على حياة هذه المطربة وقد اجري معها هذا الحوار عام ١٩٧٧ أي قبل اكثر من ثلاثين عاماً..

صبيحة ابراهيم

البدايات صعبة ..

صبيحة ابراهيم لم تتخف وراء اسم فني مثل المطربات الكثيرات وانما اكتفيت بتغيير اسم والدها من جاسم الى ابراهيم وهي من مواليد سنة ١٩٣٢ في الاعظمية .. وبدا اهتمامها بالغناء وهي في سن الثانية عشره من عمرها عندما اظهرت موهبة ملحوظة في ترديد الاغاني للسيدة ام كلثوم فاعجب بها الذين استمعوا اليها وهي تردد اغنية فيلم دنانير ثم بدات مسيرتها الفنية في الاربعينيات وشقت طريقها باقتدار غير آبهة بالأوضاع السائدة يومذاك بالنسبة للمطربات بل لكن الذين مارسوا الفنون .. وهكذا هي البدايات دائماً قد لا تكون صعبة ثم عرفت طريقها الى الاذاعة التي كانت تبث على الهوا مباشرة وعرفناها باسم اذاعة بغداد ومنها تبث الى الهواء غفلة واخذتني من العين .. كلبك مو على كلبي يا غالي عليه .. فهل بين القراء والقارئات من يتذكر واحدة منها على الاقل؟..

فيلم (عليه وعصام) ونواصل الحوار مع صبيحة ابراهيم من اجل الحصول على بعض من ذكرياتها الفنية فننجح عندما تقول وعندما قام استديو بغداد باخراج اول افلامه علية وعصام شاركت فيه بالغناء فقد غنت فيه واحدة من بطلتيه وهي الفنانة عزيمة توفيق ولكن بصوتي اما الثانية فكانت المطربة سليمة مراد وقد قدمت في ذلك الفيلم اربع اغاني منها..

لما يابدر غبت عني بعيد ..وياك
اخذنة يا نهر ..

وسألنا الزميل صادق الازدي ما الذي علق بذكرياتك عن صبيحة ابراهيم؟ وسكت الزميل بضع لحظات وقال: وين هي اليوم فقد ظهرت على الشاشة الصغيرة قبل ايام وقد ارجعتني وهي تغني الى الاربعينيات ويوم سمعتها تنشد لام كلثوم مطلعها طاب النسيم العليل ..وهي واحدة من فيلم (دنانير) فقد انسجمنا معها وكان بيننا الصحفي والشاعر والممثل والاذاعي وكنا كلنا من الباحثين عن المتعة التي تحقق لنا الاستماع الى المطربات القديرات وهن يتلاعبن باحاسيسنا ويداعبن مشاعرنا باصواتهن الساحرة وتوقعنا لتلك الفتاة الصغيرة مكانة مرموقة في دنيا الطرب حتى مع وجود الكثير من المطربات الراسخات القدم على ارض الفن ومن اشهرهن في ذلك الوقت الفنانات سليمة مراد وعفيفة اسكندر وزكية جورج ووحيدة خليل وزهور حسين ومليعة توفيق وصديقة الملاية وغيرهن ..

حديث الحياة ..

ولنعد الى المطربة صبيحة ابراهيم لنستمع اليها وهي تتحدث عن حياتها الفنية .. فالحكاية طويلة والمسيرة متعبة فالحركة الفنية كانت تسير متعبة ومتعثرة ولافرق بين الموسيقى والغناء والتمثيل والرسم والنحت .. وكانت النظرة العامة الى المطربات متشابكة مع اوضاع المراة الاجتماعية . والتقاليد البالية التي ورثها مجتمعنا عن عهود الاستعباد والتخلف ومن هنا جاء اختفاء مطربات كثيرات بسرعة عن الوسط الفني وقد تغير اليوم الحال على اتم وجه فاهل الفن يكرمون وارتفعت مكانة الفنان على ضوء احدث المفاهيم الانسانية لدور الفنان في المجتمع..

وهكذا اثرت صبيحة ابراهيم الانزواء بعيدا عن الغناء وحنينها اليه يملأ روحها وفكرها .. وحين قالت تلك هي القصة لاشيء غير معروف فقد حدث مثل هذا الذي حدث لي مع الكثيرات .. الا انني بقيت لصيقة بالطرب ومازلت احن لان اظل الفنانة الى النفس الاخير اما الان فانا لست غير فنانة لايعرفها الجميع ..